لغز المتحف



محمود سالم

لغز المتحف

تأليف
محمود سالم



لغز المتحف

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٨٠ ٣

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

رائحة لغز

كانت السيارة التاكسي التي تحمل الأصدقاء الخمسة؛ «لوزة» و«نوسة» و«عاطف» و«تختخ» و«محب، قد عبرت كوبري الجلاء وانحرفت خلف فندق «الشيراتون»، ثم عرجت يسارًا متجهةً إلى شارع النيل، فقال «تختخ» موجِّهًا حديثه إلى السائق: هنا من فضلك.

وأخذت السيارة تقترب من العنوان المطلوب، وقال «عاطف»: هذا ثالث متحف نزوره خلال الأسبوعَين الماضيَين ... إنها فكرة رائعة حقًّا التي اقترحها «محب»، أن نقوم بزيارة جميع متاحف بلدنا في العطلة بدلًا من إضاعتها في اللعب.

لوزة: وهل متحف «محمد محمود خليل» الذي سنزوره الآن كبير مثل المتحف المصري أو متحف القلعة؟

تختخ: لا، إنه متحف صغير في قصر ... وصاحبه المرحوم «محمد محمود خليل» كان من كبار الأثرياء، وكان هو وزوجته يُحبَّان اقتناء التحف الثمينة واللوحات النادرة ... وقد جمعا معًا مجموعةً ممتازةً من اللوحات والتماثيل تُساوي ملايين الجنيهات ...

عاطف: ملايين الجنيهات؟!

تختخ: نعم ... فهناك ١٣٣ لوحةً كبيرةً لمشاهير الرسَّامين العالميين، عدا ٥٨ لوحةً صغيرة، و٤٢ تمثالًا.

لوزة: ومن أين عرفتَ هذه المعلومات؟

تختخ: من الدليل؛ فلكل متحف دليل، ومعي دليل المتحف الذي أعدَّته وزارة الثقافة، وبه كل المعلومات اللازمة عن المتحف.

ووقف التاكسي ونزل الأصدقاء الخمسة، ونفذوا من باب الحديقة الواسع متجهين إلى المتحف ... ولكن كانت في انتظارهم مفاجأة سخيفة؛ فقد كان المتحف مغلق الأبواب ... يقف ببابه الرئيسي بعض الناس يتحدَّثون، فاقترب الأصدقاء منهم ... ولاحظوا أن بينهم

عددًا من رجال الشرطة، فسأل «تختخ» أقرب الواقفين إليه: ماذا حدث؟ ولماذا يقف رجال الشرطة هنا؟

ردَّ الرجل في ضيق: إنهم يقومون بجرد المتحف.

تختخ: لماذا؟

الرجل: لقد حاول أحد اللصوص سرقة المتحف أمس ليلًا، وقد استطاع الحارس رؤيته في الظلام، فأطلق عليه الرصاص، ولكن اللص استطاع أن يهرب.

تختخ: وهل عرفوا ما سرقه؟

الرجل: لقد جاءت لجنة من وزارة الثقافة والإرشاد هذا الصباح لجرد المتحف بشكل عاجل ... ولا أحد يدري ماذا وجدوا.

قال «عاطف»: هيا بنا نخرج إلى كورنيش النيل، ونجلس في كازينو «كليوباترا»؛ فهو قريب من هنا، بدلًا من العودة إلى المعادي.

لوزة: من الأفضل أن ننتظر نتيجة الجرد ... فقد تكون هناك سرقة فنُشارك في البحث عن اللص.

نوسة: إننا لم نحضر للبحث عن لصوص، لقد جئنا لمشاهدة ما في المتحف من لوحات وتماثيل يا «لوزة»، فدعكِ من الألغاز والمطاردات.

لوزة: إن المغامرين الخمسة لا ينسَون عملهم، وما دام هناك لغز فلا بد من حله.

عاطف: ومن أين عرفتِ أن هناك لغزًا؟

لوزة: إنني أشم رائحة الألغاز والمغامرات، وأؤكد لكم أن في هذا القصر لغزًا في انتظارنا.

وفي تلك اللحظة خرج عدد من الرجال من باب القصر وهم يبتسمون، وسمع الأصدقاء أحدهم يقول: ليس هناك شيء ناقص على الإطلاق ... إن التماثيل واللوحات كلها موجودة كاملةً لم يمسَّها أحد.

قال الأخر: وليس هناك أثر في الأبواب أو النوافذ لمحاولة دخول القصر ... إن الحارس كان واهمًا ... أو لعل أحد المتشرِّدين حاول النوم في حديقة القصر فرآه الحارس وظنَّه لصًّا.

نظر الأصدقاء جميعًا إلى «لوزة» التي نكست رأسها في خجل؛ فقد ثبت أنه ليس هناك لغز ولا مغامرة في القصر ... وقال «عاطف» ساخرًا: يبدو أنك مصابة بزكام يا «لوزة»؛ فليس هناك رائحة لغز ولا حتى رائحة كولونيا.

اقترب «محب» من أحد الرجال سائلًا: هل يمكننا دخول المتحف الآن؟

الرجل: بعد ربع ساعة.

محب: ما رأيكم؟ هل نذهب إلى الكازينو ثم نعود؟

تختخ: لا داعي لإضاعة الوقت، الساعة الآن الحادية عشرة ونُريد أن نعود في موعد الغذاء إلى المعادي. تعالَوا نتمشَّى في الحديقة حتى يأتي وقت الدخول.

وهكذا سار الأصدقاء في أرجاء الحديقة الواسعة … واقتربوا من السور الذي يفصل بين المتحف والمنزل المجاور … كانت الأشجار الضخمة تقف في صفٍّ طويل بجوار السور، والنباتات المتسلِّقة تُغطِّيه بكثافة شديدة، وقالت «لوزة» وهي تنحني إلى الأرض بجوار السور: لقد سقط منديل من أحدهم في هذا المكان.

ثم التقطت منديلًا أبيض، ولكنها ألقته فجأةً من يدها قائلة: إن به آثار دماء!

أثارت كلمة دماء انتباه الأصدقاء جميعًا، وقال «تختخ» وهو ينحني ويأخذ المنديل: إن الألغاز والمغامرات قد أثَّرت في أعصابك وخيالك يا «لوزة»؛ فكل لون أحمر تظنين أنه دم.

وفرد «تختخ» المنديل، وكان واضحًا فيه آثار دماء، فقال «محب»: إنها دماء فعلًا، و«لوزة» لم تتخيَّل شيئًا.

وأحاط الأصدقاء بالمنديل وأخذوا يتأمَّلونه. لم يكن اللون الأحمر هو اللون الوحيد، ولو أنه كان اللون الغالب؛ فقد كانت هناك ألوان أخرى زرقاء وصفراء … فقالت «نوسة»: إن على المنديل كما هو واضح ألوانًا أخرى … وليس من المعقول أن تكون آثار دماء بهذه الألوان.

قرَّب «تختخ» المنديل من أنفه وقال: إنها آثار ألوان زيتية.

نوسة: إن صاحب المنديل إذن نقَّاش ممن يدهنون الجدران.

عاطف: المعقول أن يكون رسَّامًا مثلًا، وهنا قرب المتحف.

أخذ «تختخ» يتأمَّل المنديل طويلًا، ثم قال: إن هناك آثار بصمات على المنديل، ومن الواضح أن الرسَّام أو النقَّاش كان يمسح أصابعه فيه.

نوسة: ولكن من أين أتت آثار الدماء؟

لوزة: لعله وهو يرسم قد جرح أصبعه ومسحه في المنديل … ولو أن كمية الدماء تدل على أكثر من مجرَّد جرح بسيط …!

تختخ: هذا ممكن.

ثم أخرج «تختخ» ورقةً لفَّ فيها المنديل ووضعه في جيبه.

فقال «محب»: لماذا تحتفظ بهذا المنديل القذر؟

تختخ: لا أدري. لقد شممت مع رائحة الزيت رائحة مغامرة كما قالت «لوزة». انظروا حولكم فقد تجدون شيئًا آخر.

وانتشر الأصدقاء حول السور يبحثون هنا وهناك، ومرةً أخرى قالت «لوزة»: تعالَوا هنا ... إنني أجد آثار شخص كان نائمًا.

أسرع الأصدقاء حيث تقف «لوزة» بجوار السور مباشرة، وكان ثمة حوض من الزهور قد تكسَّر تمامًا بطول يُساوي طول رجل ... ثم وجد «محب» عند طرف الحوض بعض أعقاب السجائر، فأخذ «تختخ» يجمعها ويعدها، ثم قال: تسع سجائر ... إن هذا يعني أن الذي دخَّنها قضى وقتًا طويلًا في هذا المكان ... ثم إنه يُدخِّن سجائر أجنبيةً من نوع «جولواز» الفرنسية.

قالت «لوزة»: هناك أيضًا آثار متعدِّدة متجهة إلى السور ... إنها آثار خفيفة وعميقة متقاربة.

وأخذ الأصدقاء يتبعون آثار حتى السور ... وكان هناك أثر لقدمَين غائرتَين في طين الحوض ... وكانت الآثار متكرِّرة ... وعلى ارتفاع السور كانت النباتات متكسِّرةً ومشوَّهة ... وعلى الأرض كان هناك قلم رصاص من نوع «كوهينور» ممَّا يستعمله الرسَّامون، وبعض دبابيس الرسم.

قال «تختخ»: لقد كان هنا بلا شك رسَّام قضى فترةً طويلة، وحاول تسلُّق السور إلى الناحية الأخرى».

نوسة: رسَّام! ... ولماذا رسَّام؟

تختخ: هذا واضح من كل الآثار التي تركها ... منديل ملوَّث بالألوان، قلم رصاص من النوع الذي يشيع استخدامه بين الفنَّانين ... دبابيس رسم ... إنه بلا شك رسَّام.

عاطف: وماذا يعني هذا كله؟

تختخ: لا شيء حتى الآن ... وليس هناك قانون لمعاقبة رسَّام حاول أن يقضي بعض الوقت في الحديقة ... ولعله كان يُريد رسم منظر طبيعي منها وجرح أصبعه لسبب أو آخر.

محب: ولماذا حاول تسلُّق السور؟

تختخ: لا أدري ... وهيا بنا إلى المتحف؛ فقد قضينا وقتًا طويلًا هنا.

الألوف والملايين

دخل الأصدقاء إلى المتحف أخيرًا ... كان مكوَّنًا من دورَين بسلم داخلي يصل بينهما ... وأخذوا يطوفون باللوحات واحدةً واحدة ... يتأمَّلون في إعجاب ما أثمرته أنامل أعظم الرسَّامين ... وقفوا أمام لوحة «رئيس عربي» للرسَّام «ديلاكروا»، فقالت «نوسة»: إنني لا أفهم كثيرًا في الرسم، ولكن هذه اللوحة جميلة حقًّا.

عاطف: أعتقد أنها تُساوي بضعة ألوف من الجنيهات.

وسمع الأصدقاء صوتًا يأتي من خلفهم قائلًا: أكثر من مائة ألف جنيه.

والتفت الأصدقاء إلى الصوت، فوجدوا شابًّا قدَّم لهم نفسه على أنه الفنَّان «مأمون»، وكانوا يسمعون بهذا الاسم من المجلَّات. وعاد «مأمون» إلى الحديث قائلًا: إن «ديلاكروا» من أشهر الفنَّانين الفرنسيين في القرن التاسع عشر ... ويُعد من خير من استخدم اللون في الرسم، وهو الذي وضع أُسس تقسيم درجات اللون ... ممَّا يجعل للوحاته وألوانه شكل الحرير الناعم، وهو من الفنَّانين الفرنسيين القلائل الذين زاروا الشرق ... فقد زار المغرب عام ١٨٢٣م وتأثَّر بالألوان الشرقية، وانعكست بعد ذلك في أعماله، وله في هذا المتحف ثماني لوحات، منها ثلاث تحمل توقيعه ... أكبرها لوحة «حوريات تستحم»، ومقاسها ٦٠ × ٤٨، وقد اشتراها المرحوم «محمد محمود خليل» من مزاد في باريس عام ١٩٤٧م، ودفع قيمتها نحو خمسين ألف جنيه.

قالت «لوزة»: هل هناك فنَّانون آخرون من المشاهير لهم لوحات في هذا المتحف؟

ردَّ «مأمون»: نعم ... هنا لوحات لأشهر الفنَّانين الفرنسيين بالذات، ومنهم؛ «دوميه»، و«ديجا»، و«جوجان»، و«فانيه»، و«رينوار»، و«تولوز» ... وغيرهم. ومن المصريين «محمود سعيد».

محب: وكم تُساوي هذه اللوحات؟

مأمون: رقم كبير جدًّا ... ومن الصعب تقدير قيمتها، ولكن بالتأكيد يزيد ثمنها على بضعة ملايين من الجنيهات.

عاطف: ملايين؟!

مأمون: طبعًا ... إن بعض اللوحات العالمية بيعت في الشهور الماضية بمبالغ تصل إلى أكثر من مليون جنيه للوحة الواحدة ... وفي هذا المتحف ١٢٣ لوحة ... فتصوَّر كم يكون الثمن!

وأخذ الأصدقاء يتنقَّلون بين غرف المتحف المختلفة ... و«مأمون» يصحبهم ويشرح لهم ... وهو سعيد أن هؤلاء الصغار يزورون المتاحف، ويتزوَّدون بالمعلومات الفنية بدلًا من قضاء الوقت كله في اللعب والجري.

وافترق «مأمون» عنهم بعد أن أعطاهم عنوانه ورقم تليفونه ... وعرفوا أنه يسكن في فيلا في المقطم، وقد دعاهم لقضاء يوم عنده في الفيلا ليتحدَّث إليهم حديثًا أطول عن فن التصوير الزيتي.

قضى الأصدقاء وقتًا طيِّبًا في المتحف، ثم قرَّروا الانصراف لاقتراب موعد الغداء، وعندما وصلوا الباب قالت «لوزة»: هل نعود إلى المعادي دون أن نحل اللغز؟

عاطف: أي لغز؟

لوزة: لغز الآثار التي وجدناها في الحديقة.

عاطف: إن هذا شيء مضحك حقًّا؛ ففي العادة تقع الجريمة، ثم نبحث عن أدلة لحل غموضها، أمَّا أن نجد الأدلة، ثم نبحث عن جريمة، فشيء لم أسمع عنه!

لوزة: ألم يقل الحارس إنه شاهد شبحًا في الظلام وأطلق عليه الرصاص؟

عاطف: وماذا في هذا؟

لوزة: ماذا كان يفعل هذا الشبح في الحديقة؟

عاطف: يفعل ما يشاء! لقد ثبت أن شيئًا من المتحف لم يُسرق، ومعنى ذلك أنه ليس هناك جريمة على الإطلاق، ووجود شخص في الحديقة لا يدل على حدوث شيء.

كان بقية الأصدقاء يُتابعون الحوار بين «لوزة» وشقيقها «عاطف» باهتمام؛ فقد كان «عاطف» يتضايق من إلحاح أخته «لوزة»، ومحاولتها البحث عن لغز في كل شيء.

وفجأةً قال «محب»: إنني أرى في الحديقة أعمدةً كثيرةً للإنارة، فكيف يقول الحارس إن الحديقة كانت مظلمة؟

تختخ: هذه ملاحظة معقولة ... تعالَوا نسأل الحارس.

كان الحارس يجلس على كرسي أمام باب القصر ... فاتجه إليه الأصدقاء، وبعد أن حيَّوه قال «تختخ» مفتتحًا الحديث في براعة: الحمد لله على أن شيئًا لم يُسرق من المتحف.

الحارس: فعلًا الحمد لله ... وإلَّا وقعتُ في مشكلة خطيرة.

تختخ: وهل تحرس القصر وحدك؟

الحارس: هناك حارس آخر يجلس أمام باب الحديقة، وعادةً نجلس معًا ... ولكن حدث أمس حوالي الثانية بعد منتصف الليل أن تركت مقعدي أمام الحديقة وعدت إلى غرفتي أمام القصر لأُحضر شيئًا ... وفجأةً وجدتُ النور ينطفئ، وسمعت صوت أقدام تتحرَّك في الحديقة ... واستطاعت عيناي أن تألفا الظلام بعد ثوانٍ قليلة، وعلى ضوء الشارع استطعت أن أرى شبحًا يجري في طرف الحديقة، فأطلقت عليه النار ... ثم أسرعت إليه ولكنني لم أجد شيئًا؛ فالأشجار كثيفة قرب السور، وخشيت أن يكون له شركاء داخل القصر فعدت إلى القصر ... وحضر زميلي وانتظرت أن يعود النور، ولكنه ظل مطفأً ... ولاحظنا أن بقية المنازل حولنا مضاءة، ومعنى هذا أن الضوء انقطع عن المتحف وحده ... وليس معنا مفتاح؛ لأن المفتاح مع أمين المتحف الذي يأتي في الصباح ... فطفنا حول القصر واختبرنا الأبواب والنوافذ، ولكنها كانت جميعًا مغلقة ... فرجَّحنا أن شبح الحديقة متشرِّد حاول النوم في الحديقة ... وقد حدث ذلك من قبل، فسكتنا ولم نجِد فائدةً من إزعاج أمين المتحف في هذه الساعة المتأخِّرة من الليل ... وانتظرنا حتى الصباح وخاصةً والنور مطفأ وليس من الممكن إصلاحه ليلًا. وعندما حضر وأخبرناه، قرَّر الاتصال بالشرطة وتكوين لجنة للجرد ... والحمد لله فإنهم لم يجدوا شيئًا ناقصًا من المتحف.

تختخ: وهل عرفتَ لماذا انطفأ النور في القصر؟

هبَّ الحارس واقفًا وهو يضرب رأسه بيده قائلًا: لقد نسيت هذه المسألة تمامًا وانشغلت باللجنة، خاصةً بعد أن جاء النهار، ونسيت مسألة النور تمامًا!

وأسرع الحارس إلى داخل المتحف، فأشار «تختخ» إلى الأصدقاء أن ينتظروه وأسرع خلفه ... اتجه الرجل إلى الحديقة حيث كان مطبخ القصر سابقًا وقد أصبح مخزنًا، وفتح الباب ودخل، وأطلَّ على اللوحة التي تخرج منها أسلاك الكهرباء إلى بقية القصر ... ودُهش أن وجد أن الأكباس التي توصل التيار إلى القصر مرفوعة من مكانها، وموضوعة فوق اللوحة!

قال الحارس في دهشة شديدة: إن شخصًا قد رفع هذه الأكباس من مكانها ... لقد كان شخص داخل القصر ... ولكن من هو؟!

قال «تختخ»: لعله شبح الحديقة.

الحارس: ولكن كيف خرج؟! لقد كانت الأبواب كلها مغلقة!

تختخ: ربما كان له شريك داخل المتحف.

الحارس: لا أحد يوجد في المتحف بعد إغلاقه مطلقًا.

تختخ: وماذا ستفعل الآن.

الحارس: لا أدرى ... على كل حال ما دامت نتيجة الجرد أثبتت أن شيئًا لم يُسرق من المتحف؛ فلا داعي لإثارة المشاكل.

ثم أخذ يضع الأكباس مكانها ... فقال «تختخ»: هل تسمح لي أن أرى هذا الكبس؟

وناوله الحارس أحد الأكباس مكانه، ففحصه «تختخ» بدقة، ورأى آثار ألوان خفيفة عليه، كان واضحًا أنها من آثار أصابع الذي رفعها.

انصرف «تختخ» إلى الأصدقاء، وسرعان ما استقلُّوا تاكسيًا حملهم إلى محطة باب اللوق، حيث استقلُّوا القطار إلى المعادي.

كان «تختخ» صامتًا طول الوقت، فسأله «محب»: لماذا أنت صامت يا «تختخ»؟ ... هل تُفكِّر في شيء هام؟

تختخ: لقد وجدت آثار ألوان على الكبس من نفس الألوان التي وجدناها على المنديل.

كان «تختخ» قد نسي المنديل تمامًا، وتذكَّره في هذه اللحظة، فأخرجه بسرعة من جيبه وأخذ يتأمَّله، ثم قال: نفس الألوان تقريبًا ... الأحمر والأصفر ... لقد كان شبح الحديقة داخل المتحف! ... ولكن كيف؟! وماذا فعل؟! ولماذا لم يسرق شيئًا؟! فكلها أسئلة لا أملك الإجابة عنها!

وصل القطار إلى المعادي وتفرَّق الأصدقاء على أن يلتقوا في المساء في حديقة «عاطف» كالمعتاد.

وفي الموعد اجتمع الأصدقاء في حديقة «عاطف» عدا «تختخ». كانت الشمس قد بدأت تغيب ... ونسمة باردة تهب على الحديقة الجميلة ... وجلسوا جميعًا في انتظار «تختخ» الذي حضر متأخِّرًا عن موعده بنصف ساعة، فقال معتذرًا: آسف جدًّا لتأخيري ... لقد جلست أُفكِّر في شبح حديقة المتحف فترةً طويلة.

لوزة: وهل وجدت لغزًا؟

تختخ: لقد وجدت نصف لغز ... وعلينا أن نجد النصف الآخر.

عاطف: هل تحكي لنا نصف اللغز؟

تختخ: نعم ... فقد نصل عن طريق التفكير معًا إلى النصف الآخر.

نصف اللغز

قال «تختخ»: من المؤكَّد أن هذا الإنسان المجهول، ولْنُسمِّه شبح الحديقة، كان موجودًا بالمتحف ليلًا، أمَّا كيف استطاع أن يدخل برغم أن الأبواب والنوافذ سليمة ولم تُكسر، فليس هناك سوى تفسير واحد ... هو أنه كان موجودًا في المتحف قبل إغلاقه ... ثم استطاع بشكل ما أن يختفي عن عينَي الحارس خلف تمثال أو في دورة المياه، حتى أغلق المتحف أبوابه ... وظل في مكانه حتى الساعة الثانية صباحًا ... ولستُ أدري لماذا انتظر كل هذه المدة؛ أي من الخامسة، وهو موعد إغلاق المتحف، إلى الثانية صباحًا، أي نحو عشر ساعات.

وصمت «تختخ» قليلًا، ثم عاد إلى حديثه قائلًا: وفي الساعة الثانية صباحًا رفع النور ليُطفئ أنوار الحديقة، ثم فتح أحد نوافذ المتحف وقفز إلى الحديقة وأغلق النافذة من الخارج ... ثم أسرع ليقفز السور، ولكن لسوء حظِّه كان حارس المتحف قد عاد — كما قال — ليأخذ شيئًا من حجرته، فشاهده وأطلق عليه الرصاص وأصابه.

محب: بدليل آثار الدماء التي وجدناها قرب السور وعلى المنديل.

تختخ: صحيح ... ولكن قد يكون قد جُرح في أثناء القفز أو في أثناء محاولته تسلُّق السور ... ولكن دليل الإصابة أنه بقي في مكانه في حوض الزهور فترةً طويلة، دخَّن فيها هذا العدد الكبير من السجائر ... لقد كان عاجزًا عن الحركة ... وانتظر فترةً طويلةً حتى استردَّ قواه، ثم قفز السور.

عاطف: وهناك رأي آخر ... ربما خشي أن يسير ليلًا وهو مصاب فيلفت الأنظار.

نوسة: أو أنه كان يحمل شيئًا يخشى أن يراه أحد معه ... فانتظر إلى قرب الصباح حيث تنشط حركة الشوارع وغادر المكان.

تختخ: كل هذه الأسباب معقولة ... وبقي شيء ... إن هذا الشبح رسَّام أو له مهنة متعلِّقة بالألوان ... بدليل آثار الألوان التي وجدناها على المنديل، والآثار التي وجدتها على أكباس النور.

لوزة: ولكن السؤال الهام هو: لماذا فعل كل هذا ما دام لم يسرق شيئًا؟! لقد تأكَّدتْ لجنة الجرد من أن شيئًا من محتويات المتحف لم ينقص ... فماذا كان هذا المجهول يفعل هناك؟!

قال «عاطف»: لعله كان يتمتَّع بمشاهدة المتحف وحده.

ضحك الأصدقاء ... للنكتة ... ولكن السؤال بقي معلَّقًا ... وفجأةً قال «محب»: إنني أظن أن هذا الشبح من المتردِّدين على المتحف ... فهو يعرف عادات الحارس، وأن الحارس يذهب للجلوس مع زميله أمام باب الحديقة، وإلَّا لما غامر بفتح النافذة والحارس يجلس أمام باب المتحف نفسه.

تختخ: هذا ممكن ... وفي هذه الحالة يكون أمامنا خيط نسير خلفه.

محب: بل عدة خيوط ... فعندنا أولًا: أنه رسَّام، وهذا يُضيِّق نطاق البحث، فبدلًا من البحث عن شخص بين ملايين الأشخاص في القاهرة، يمكن البحث عنه في نطاق الرسَّامين ... ثانيًا: هو يُدخِّن سجائر من نوع خاص، ليست مصريةً وليست من الماركات العالمية المعروفة عندنا، وقد نسيت اسمها.

تختخ: «جولواز»!

محب: إنه رسَّام يُدخِّن سجائر «جولواز»، هو يتردَّد على المتحف.

نوسة: وهو مصاب أيضًا.

تختخ: إنها استنتاجات ممتازة حقًّا.

محب: بقي السؤال الهام هو: لماذا دخل المتحف، واختبأ فيه، وعرَّض نفسه للموت ما دام لم يسرق شيئًا؟

عاطف: هذا هو النصف الآخر من اللغز ... النصف الهام.

تختخ: إن الفنَّانين عمومًا ليسوا كالأشخاص العاديين؛ فلهم بعض النواحي الشاذة في تصرُّفاتهم لا يتصوَّرها الشخص العادي ... وقد يكون لهذا الفنَّان هواية خاصة لا نعرفها.

محب: من المؤكَّد أنها ليست هواية المبيت في المتاحف.

تختخ: من يدري؟

نوسة: ولكن لماذا يُطفئ النور، برغم أن انطفاء النور يمكن أن يلفت إليه الأنظار؟

تختخ: لأنه كان يخشى أن يراه الحارسان وهما يجلسان أمام الحديقة، وقد اعتمد على أن الحارسَين سيظنان أن النور انطفأ من تلقاء نفسه لعطل ما ... وهو شيء يمكن حدوثه.

عاطف: هناك شيء آخر ... أو سؤال آخر ... هو: لماذا بقي تسع ساعات حتى يخرج من المتحف؟

تختخ: لا أدري ... على كل حال ... لقد استطعنا أن نصل إلى استنتاجات محدَّدة ... وسنرى ماذا يفعل رجال الشرطة.

لوزة: تعالَوا نسأل المتفش «سامي».

تختخ: المفتش «سامي» سافر في مهمة خارج القاهرة منذ ثلاثة أيام، وعندما يعود سنعرض عليه الموضوع.

محب: وما هي خطوتنا التالية؟

تختخ: أرى أن نزور الرسَّام «مأمون» في المقطم. إن المقطم مرتفع عن القاهرة، ودرجة الحرارة فيه أقل، ويمكن أن نقضي يومًا جميلًا عنده ... ومنازل الرسَّامين عادةً تُشبه المتاحف، فيمكن أن نُشاهد لوحاته ولوحات غيره من الرسَّامين التي يحتفظ بها، وفي الوقت نفسه فإن حديثنا معه سيكون مفيدًا لنا جدًّا، ويمكن أن يفتح لنا آفاقًا من المعرفة في عالم الفن والألوان، وهو ما نحتاج إليه في ثقافتنا الفنية.

وافق الأصدقاء جميعًا على الاقتراح بحماس ... وافترقوا على أن يلتقوا في اليوم التالي ليذهبوا إلى «مأمون» في المقطم ... وقال لهم «تختخ»: إنه سيتصل بالرسَّام هذا المساء ليستأذنه في زيارته.

رحَّب الفنَّان «مأمون» بحضورهم. وهكذا اجتمعوا في الصباح التالي وبدءوا رحلتهم. كانت رحلةً طوليةً بين المعادي والمقطم ... ولكنها كانت رحلةً ممتعة ... وقالت «لوزة»: هذه أول مرة نزور فيها المقطم دون أن نكون في مغامرة، فهل تذكرون متى جئنا إلى المقطم قبلًا؟

نوسة: أذكر عند مطاردتنا للعصابة التي خطفت الأمير «كريم» في لغز الأمير المخطوف ... ومرةً ثانية في لغز الرسالة الطائرة ... ولكن «عاطف» وحده هو الذي دخل وكر العصابة.

عاطف: ثم حضرتم جميعًا بعدي، وشاهدتم زعيم العصابة العاجز عن الحركة.

لوزة: كانت مغامرةً رهيبة.

تختخ: لعلنا نعثر في المقطم على لغز ثالث.

ردَّت «لوزة» بحماس: إنني أُحس بذلك ...

وكانت السيارة تدور بين الصخور العالية في طرقات المقطم صاعدة ... والهواء منعشًا لارتفاع المقطم عن القاهرة ... والأصدقاء جميعًا يُحسون بالسعادة لأنهم سيقضون فترةً ممتعةً في ضيافة الرسَّام «مأمون».

وبعد أن سألوا عن العنوان، وصلوا إلى فيلا الفنَّان، حيث كان في انتظارهم على باب الحديقة، وقد أمسك بآلة لتشذيب الحشائش ... وعندما شاهدهم صاح: تعالَوا ساعدوني.

وبعد أن تبادلوا التحية معه، دخلوا الحديقة، حيث كان الفنَّان يقوم بريِّها، وسرعان ما اشتركوا معه ... وأمسكت «نوسة» بالخرطوم ... ترش الزهور الجميلة، ثم تعبث مع الأصدقاء أحيانًا برشهم برذاذ خفيف.

وبعد أن انتهوا من رش الحديقة، جلسوا يتناولون الشاي ومعهم زوجة الفنَّان وطفلته الصغيرة ... وسرعان ما اتجه حديثهم إلى الفنَّانين واللوحات، فأخذ «مأمون» يروي لهم قصصًا شيقةً عن حياة الفنَّانين ... قال «مأمون»: إن أكثر الفنَّانين قابلوا في بداية حياتهم الفنية متاعب ومشاق هائلة ... خاصةً الذين حاولوا أن يشقوا طريقًا جديدًا في الفن. وروى لهم قصة الفنان «فان جوخ» الهولندي، الذي كانت مشاعره النبيلة تتساوى مع مقدرته الفنية ... وكيف كان يُعاني من نوبات من الصرع، حتى إنه قطع أذنه وأهداها إلى حبيبته إعلانًا عن حبه ... ثم وُضع في مصح للأمراض العقلية ... وانتحر وهو في السابعة والثلاثين بعد أن أضاف لفن الرسم الكثير ... وأثَّر فيمن جاء بعده من الرسَّامين.

قال «تختخ»: إن لهذا الفنَّان لوحةً في متحف «محمد محمود خليل» الذي زرناه.

مأمون: نعم، وهي لوحة «أزهار الخشخاش» ... وهي مرسومة على القماش، وقد رسمها الفنان حوالي عام ١٨٨٦م.

محب: وهل تُساوي هذه اللوحة كثيرًا؟

مأمون: طبعًا ... إنها لا تُقدَّر بمال ... ولكن يمكن تقدير قيمتها بمائة ألف جنيه.

عاطف: مائة ألف؟! يا له من مبلغ هائل!

مأمون: هناك لوحات بيعت بأكثر من مليون جنيه، وهذا ما يدفع بعض الفنَّانين الفاشلين إلى تقليد لوحات لكبار الفنَّانين وبيعها بأسعار خيالية لمن لا يعرف حقيقتها.

تختخ: وهل هناك قصص مشهورة عن هذا التزييف؟

مأمون: هناك قصة رسام هولندي انتهز فرصة الاضطراب الذي ساد العالم بعد الحرب العالمية الثانية ... واللوحات التي سُرقت من متاحف الدول المشهورة، خاصةً فرنسا ... وقام بتزوير عدد كبير من اللوحات لمشاهير الفنَّانين تزويرًا متقنًا فات على كثير

من الأخصائيين في فحص اللوحات ... وباع ما رسمه بمبالغ خيالية حتى اكتُشف أمره ... وقُدِّم للمحاكمة.

وانتقل الأصدقاء إلى داخل الفيلا، وفي المرسم الواسع المشمس قضوا وقتًا ممتعًا في حديث مع «مأمون» ومشاهدة لوحاته وطريقته في الرسم ... وعندما استأذنوا للعودة قال «مأمون»: كنت أتمنَّى أن تقضوا معي اليوم كله ... لولا أني مضطر إلى الذهاب لزيارة صديق أُصيب في حادث منذ يومَين.

تطوُّرات غير متوقعة

قضى الأصدقاء اليوم التالي في مرح يلعبون، ويركبون دراجاتهم في سباقات قصيرة جائزتها أكواب الجيلاتي اللذيذة ... لم يكن هناك شيء يشغلهم حتى يوم الجمعة التالي، حيث قرَّروا الذهاب إلى المتحف الإسلامي ... ولكن هذه الزيارة لم تتم؛ فقد طلبت والدة «محب» منه أن يصحبها في زيارة لمستشفى «العجوزة» لزيارة قريبة لهم هناك.

لم يُرحِّب «محب» كثيرًا بهذه الزيارة؛ خاصةً أنها ألغت رحلتهم إلى المتحف، ولكنه لم يستطِع إقناع والدته بأن تذهب وحدها؛ خاصةً وأن والده كان مسافرًا.

جلس «محب» بجوار والدته التي كانت تقود سيارتها ببراعة، برغم الزحام الشديد الذي جعل شوارع القاهرة كعلب السردين ... كان «محب» مستغرقًا في تأمُّلاته، حتى إنه لم يتبيَّن أنهما وصلا إلى المستشفى إلَّا بعد أن وقفت السيارة، وطلبت والدته منه النزول فقال: هل يمكن أن تذهبي وحدك؛ فإنني في الحقيقة لا أُحب رائحة الدواء، كما أن رؤية المرضى تعصر قلبي وتُؤرقني ليلًا.

الأم: كيف تقول هذا الكلام؟! ... لا بد أن تأتي معي.

اضطُر «محب» أن يذهب معها وهو لا يدري أن ذهابه هذا كان سببًا في تطوُّرات غير متوقعة ... فلم يكد يدخل المصعد حتى قابل الرسَّام «مأمون» فيه ... وكانت مفاجأةً طيبةً لهما معًا ... وقال «مأمون» لـ «محب» إنه جاء لزيارة صديقه الجريح مرةً أخرى، وقد أحضر له معه بعض أدوات الرسم كطلبه ليتسلَّى وهو في فراش المرض.

وخرجوا معًا من المصعد ... دخل «مأمون» الحجرة رقم «٢٨»، واتجه «محب» ووالدته إلى غرفة أخرى حيث كانت قريبتهم المريضة ... وبعد التحيات المعتادة، جلس «محب» في طرف الغرفة، واستغرقت والدته في حديث طويل مع قريبتها، وأحسَّ «محب» بالملل، فاستأذن والدته، ثم خرج إلى دهليز المستشفى، وأخذ يتمشَّى ... ومرَّ في أثناء سيره بالغرفة

رقم «٢٨» التي كانت مفتوحة، ولمحه «مأمون» فدعاه للدخول ... ولم يجِد «محب» بأسًا في أن يزور المريض ... فدخل.

وقدَّم «مأمون» «محب» والصديق أحدهما للآخر قائلًا: يسرني يا «محب» أن أُعرِّفك بالأخ الرسام «رزق».

كان «رزق» شابًّا نحيلًا أبيض البشرة وله لحية سوداء.

وقال «مأمون»: إن «رزق» قضى وقتًا طويلًا في باريس يدرس الرسم، وقد عاد منذ شهرَين إلى القاهرة ... وكان ينوي السفر مرةً أخرى لولا إصابته.

محب: هل هي إصابة شديدة؟

قال «رزق» وهو يُشعل سيجارة: إنها إصابة في الفخذ ... عطَّلتني عن الحركة، ولن أستطيع المشي إلَّا بعد أيام.

لاحظ «محب» أن علبة السجائر التي يُدخِّن منها «رزق» غير عادية ... فلونها أزرق وقصيرة، ولا تُشبه علب السجائر المصرية ... وكان قريبًا بحيث يستطيع قراءة اسمها ... كان اسمها «جولواز».

وتذكَّر «محب» أن الاسم مرَّ به منذ فترة قريبة ... وأخذ يعتصر ذاكرته محاولًا أن يتذكَّر أين سمعه أو قرأه ... ثم خرج من المحاولة عندما سأله «مأمون» عن المتحف الذي سيزوره هو والأصدقاء في المرة القادمة، واستمرَّ الحديث فترة ... ثم عاد «محب» إلى المحاولة ... وأخيرًا تذكَّر ... إنها السجائر التي وجدوا منها مجموعةً من الأعقاب في حديقة متحف «محمد محمود خليل» ... ووجد نفسه يسأل «رزق»: هل زرت متحف «محمد محمود خليل»؟

قال «رزق»: نعم ... زرته مرةً أو مرتَين.

محب: هل كنت هناك منذ ثلاثة أيام تقريبًا.

رزق: لا أذكر بالضبط ... ولكن لماذا تسأل؟

محب: مجرَّد سؤال ... فقد تذكَّرت شيئًا ما دفعني إلى السؤال.

رزق: وما هو هذا الشيء؟

أحسَّ «محب» أنه تورَّط في الحديث ... ويجب عليه كمخبر ألَّا يكشف أوراقه، خاصةً وأن وجود السجائر «جولواز» وإصابة «رزق» ... ودبابيس الرسم التي وجدوها في الحديقة ... كل هذا جعله يتصوَّر أن «رزق» هو شبح حديقة المتحف ... ولكن كان يجب أن يُخفي استنتاجاته حتى لا يشعر «رزق» أنه يشتبه فيه ... دارت هذه الخواطر في ذهنه بسرعة

البرق قبل أن يُجيب: لقد تصوَّرت أنك كرسَّام في فرنسا لا بد أنك زرت متحف «محمد محمود خليل»؛ لأن أغلب ما به من لوحات لرسَّامين فرنسيين.

لم يُعلِّق «رزق» على هذه الإجابة ... وانهمك في الحديث مع «مأمون»، فاستأذن «محب» ... وخرج، وكانت والدته قد انتهت من زيارتها لقريبتها فخرجا معًا ... وذهبا إلى وسط القاهرة، حيث كانت والدة «محب» تُريد شراء بعض الأشياء ... ولكن «محب» كان متعجِّلًا العودة؛ فقد كان يُريد أن يُخبر الأصدقاء بما سمع وشاهد ... فانتهز فرصة دخول والدته إلى أحد المحلات وأسرع إلى تليفون قريب، واتصل ﺑ «تختخ»، ولكن لم يجده في البيت، فاتصل ﺑ «عاطف» وطلب منه أن يجمع الأصدقاء بعد ساعة في الحديقة كالمعتاد؛ فإن عنده أخبارًا هامة عن شبح المتحف.

وبعد ساعة تقريبًا كانت السيارة تحمل «محب» ووالدته إلى المعادي مرةً أخرى، فأسرع إلى حديقة «عاطف» حيث وجد الأصدقاء قد اجتمعوا. وكان «عاطف» قد عثر على «تختخ» في الكازينو وأخبره بمكالمة «محب» التليفونية.

عندما جلس الأصدقاء جميعًا وتهيئوا لسماع «محب» قال: أعتقد أنني عثرت على شبح المتحف ... إنه رسَّام يُدعى «رزق»، ولا أعرف بقية اسمه ... لقد وجدته يرقد مصابًا في مستشفى «العجوزة» ... وهو نحيل وله لحية سوداء كثة!

عاطف: وما هي الأدلة على أن «رزق» هذا هو شبح المتحف؟

محب: هناك ثلاثة أدلة ... أولًا: أنه رسَّام، وقد اتفقنا على أن الشبح يعمل رسَّامًا ... ثانيًا: أنه مصاب، ونحن نعلم أن الحارس أصاب الشبح بطلق ناري ... ثالثًا: أنه يُدخِّن سجائر «جولواز»، وهي نفس نوع السجائر الذي وجدنا بقاياه في الحديقة ... أليست هذه أدلةً كافية؟!

تختخ: إنها أدلة كافية إلى حدٍّ ما ... ولكن هل سألته كيف أُصيب؟

محب: في الحقيقة إنني خشيت أن يُدرك شكي فيه، خاصةً بعد أن سألت عن زيارته للمتحف ... فلو سألته كيف أُصيب لأدرك فورًا أنني أشك فيه ... بل إنني أظن أنه قد شك فعلًا؛ لأنني لاحظت أنه تغيَّر عندما سألته عمَّا إذا كان قد زار المتحف أم لا.

نوسة: على كل حال يمكن أن نتأكَّد إذا زرناه غدًا على أننا أصدقاء الأستاذ «مأمون»، ويمكن ببعض الأسئلة أن نعرف.

تختخ: لا داعي لأن نذهب كلنا، يكفي أن يذهب «محب» و«عاطف»، وسأذهب أنا و«لوزة» و«نوسة» إلى المتحف؛ فلنا حديث مع الحارس.

وهكذا افترق الأصدقاء بعد هذا الاتفاق … وفي صباح اليوم التالي تجمَّعوا على محطة المعادي، فقال «تختخ»: سنلتقي جميعًا بعد أن ننتهي من مهمتنا في كازينو قصر النيل … فأنتم مدعوون لأكل الجيلاتي على نفقتي هناك.

وفي القاهرة تفرَّق الأصدقاء، فذهب «تختخ» و«نوسة» و«لوزة» إلى المتحف، واتجه «محب» و«عاطف» إلى المستشفى.

وصل الأصدقاء الثلاثة إلى المتحف، واتجهوا إلى الحارس … وبعد أن حيَّاه «تختخ» قال له: هل تذكر أنك شاهدت في المتحف شابًّا يطلق لحيته السوداء؟

ردَّ الحارس: لماذا تسأل؟

تختخ: لأننا نُريد أن نُقابله وقد يكون هنا الآن.

الحارس: إنني أعرف هذا الشاب واسمه «رزق»، ولكنه ليس هنا الآن.

أدرك الأصدقاء الثلاثة أنهم وراء الأثر الصحيح، فقال «تختخ»: هل كان يتردَّد على المتحف كثيرًا؟

الحارس: نعم … لقد ظلَّ خلال الشهرَين الأخيرَين يتردَّد على المتحف يوميًّا، ويبقى فيه طول النهار تقريبًا، ولا ينصرف إلَّا مع موعد إغلاف المتحف.

تختخ: وهل كان يبقى كل هذا الوقت يُشاهد الصور؟

الحارس: لا لقد كان يرسم … وقد أخبرني أنه مكلَّف من هيئة في باريس أن ينقل نُسخًا دقيقةً لبعض اللوحات في المتحف!

تختخ: ومتى انقطع عن الحضور؟

الحارس: منذ نحو أربعة أيام.

تختخ: وهل كان موجودًا في اليوم الذي أطلقتَ فيه النار على الشبح الذي كان يجري في الحديقة؟

الحارس: أذكر أنه كان هنا حتى آخر النهار … ولكنني لم أُشاهده وهو ينصرف في ذلك اليوم، برغم أنه اعتاد أن يمر عليَّ كل يوم تقريبًا ساعة انصرافه.

شكر الأصدقاء الحارس، وقال «تختخ» وهم ينصرفون: لقد حصلنا على معلومات في غاية الأهمية. تعالَوا ندخل المتحف.

لوزة: لماذا؟ لقد شاهدناه قبلًا.

تختخ: هناك شيء أُريد أن أتأكَّد منه.

ودخل الأصدقاء الثلاثة المتحف، وأسرع «تختخ» إلى اللوحات العالمية، وأخذ يقف أمامها متفحِّصًا في دقة شديدة ... ثم قال لـ «لوزة» و«نوسة»: إنني أُريد مقابلة الرسَّام «مأمون» فورًا.

نوسة: ولكن علينا أن نُقابل «محب» و«عاطف» أولًا.

تختخ: فعلًا ... هيا بنا إلى كازينو قصر النيل.

ركب الأصدقاء تاكسيًا إلى الكازينو ... وعندما وصلوا إلى هناك وجدوا «محب» و«عاطف» في انتظارهم، وقد بدا عليهما الانزعاج الشديد ...

قال «محب»: هناك مفاجأة عجيبة ... لقد هرب «رزق» من المستشفى.

تختخ: هرب! كيف؟

محب: لقد كانت أمامه فترة للعلاج، ولكنه لم ينتظر تعليمات الأطباء ... وترك المستشفى وخرج دون أن يراه أحد.

تختخ: لقد توقَّعت هذا فعلًا!

عاطف: توقعته؟!

تختخ: نعم ... فإن «رزق» هو فعلًا شبح المتحف، وبرغم الجرد الذي أجرته اللجنة للمتحف وقالت إن شيئًا لم يُسرق منه ... فإن «رزق» — إذا صحَّ استنتاجي — قد سرق من المتحف لوحات تُساوي مئات الألوف من الجنيهات.

لوزة: ولكن يا «تختخ» كيف سرقها وقد قالت اللجنة إنه لم ينقص شيء من المتحف، وقد كنا هناك اليوم، وليس هناك شيء غير عادي؟!

تختخ: إن في ذهني فكرةً ما ... وأُريد أن نُقابل الرسَّام «مأمون»، وهو الشخص الذي يستطيع أن ينفي هذه الفكرة أو يُؤكِّدها.

الفكرة المدهشة

لم يتناول الأصدقاء الجيلاتي الذي وعدهم به «تختخ»؛ فقد انصرفوا فورًا، وقال «تختخ»: سنركب بثمن الجيلاتي تاكسيًا ... إن الوقت يمر بسرعة، ولا بد أن نعثر على «مأمون» فورًا.

وأسرع الأصدقاء إلى تاكسي، وطلبوا من السائق الاتجاه إلى المقطم، وعندما وصلوا إلى باب اللوق قالت «لوزة»: لا أدري كيف نذهب إلى الأستاذ «مأمون» دون أن نتأكَّد من وجوده في منزله؟ ... أليس من الأفضل أن نتصل به تليفونيًّا أولًا؟

وطلب «تختخ» من السائق أن يتوقَّف، وأسرع إلى تليفون، واتصل بمنزل «مأمون» ... ولكنه لم يجده في البيت، فعاد إلى التاكسي قائلًا: معك حق يا «لوزة» ... كنا سنُضيِّع وقتنا ونقودنا عبثًا. إن الأستاذ «مأمون» ... ليس في المنزل ... فهيا بنا إلى المعادي.

عندما وصل الأصدقاء إلى المعادي ... اتجهوا إلى منزل «تختخ» حيث وجدوا أن المفتش «سامي» قد اتصل بهم تليفونيًّا ... فطلبه «تختخ»، ولم يكد المفتش يرد حتى قال «تختخ»: إن هناك لغزًا يحتاج إليك!

المفتش: لقد عدتُ هذا الصباح، وكنت أُحب أن أرتاح من الألغاز والمشاكل لبعض الوقت.

تختخ: على كل حال لست متأكِّدًا حتى الآن هل في إمكانك أن تأتي لتناول الليمونادة والقهوة هذا المساء؟

المفتش: لا بأس، سأحضر إليكم في الثامنة.

وبعد أن أغلق «تختخ» التليفون قالت «نوسة»: والآن يا «تختخ» هل تقول لنا ما هي فكرتك؟

تختخ: أُفضِّل أن نُؤجِّلها حتى المساء ... فقد حان موعد الغداء ... وسيكون المفتش «سامي» معنا يُساعدنا في حل اللغز.

وهكذا افترق الأصدقاء على موعد في الثامنة.

عندما جلس المفتش «سامي» في الثامنة بين الأصدقاء قال موجِّهًا الحديث إلى «تختخ»:

هل تعثرون على الألغاز في الطريق؟ لقد كنت أظنكم تُنفِّذون برنامج زيارة المتاحف كما قلت لي قبل سفري.

تختخ: إننا وقعنا على هذا اللغز ونحن نُنفِّذ البرنامج ... إنه لغز خاص بمتحف، أو قل إنه لغز فني!

المفتش: إنني على استعداد للاستماع ... فمن الذي سيبدأ؟

قال الأصدقاء في نفَس واحد: تختخ.

وبدأ «تختخ» الحديث قائلًا: إنني سأتحدَّث عن لغز قد يُساوي مائة ألف جنيه ... أو مائتَي ألف ... وربما مليون جنيه.

رفع المفتش رأسه وكفَّ عن تناول القهوة قائلًا: لابد أنها نكتة!

تختخ: إذا صدقت استنتاجاتنا فإن اللغز يُساوي أكثر من مليون جنيه، بل إنه قد يساوي أكثر من هذا بكثير.

المفتش: يكفي تشويقًا ... وأرجو أن تُحدِّثني عن اللغز حالًا.

تختخ: إنك تعرف متحف «محمد محمود خليل» الواقع على كورنيش النيل قرب فندق «شيراتون».

المفتش: طبعًا أعرفه.

تختخ: إن به لوحات تُساوي مليون جنيه أو أكثر.

المفتش: بعض اللوحات التي فيه تُساوي هذا المبلغ.

تختخ: أعتقد أن بعض هذه اللوحات قد سُرق.

المفتش: متى؟!

تختخ: منذ خمسة أيام.

المفتش: هكذا دون أن يعلم أحد؟

تختخ: نعم ... فقد وُضعت أغرب خطة سمعت بها لسرقة هذه اللوحات.

المفتش: كيف؟

تختخ: سأبدأ من البداية ... فهذا أفضل لنا جميعًا ... منذ خمسة أيام ذهبنا لزيارة «متحف محمد محمود خليل» فوجدناه مغلقًا ... وعلمنا أن هناك لجنة جرد تقوم بإحصاء

مقتنيات المتحف بعد أن شوهد شخص في حديقة المتحف ليلًا ... وأطلق عليه الحارس النار ... وفي أثناء تجوُّلنا في الحديقة قبل أن يفتح المتحف أبوابه عثرنا على آثار هذا الشخص الذي سمَّيناه شبح المتحف، وكانت هناك آثار دماء على العشب ... ومنديل ملوَّث بالدم، وآثار ألوان ممَّا يستعمل في الرسم، ودبابيس رسم ... وأعقاب سجائر من نوع «جولواز» الفرنسي.

المفتش: ثم ماذا؟

تختخ: انتهت لجنة الجرد من عملها وأعلنت أن لا شيء قد نقص من المتحف ... ولم يهتم أحد بمتابعة أخبار شبح الحديقة ... وحدث بالصدفة أن ذهب «محب» لزيارة قريبة لهم مريضة في مستشفى «العجوزة»، فقابل الرسَّام «مأمون» هناك، وكنا قد تعرَّفنا به في المتحف، وعلم أنه سيزور صديقًا له في المستشفى ... وذهب «محب» لزيارة الرسَّام فوجده مصابًا وقد أُجريت له عملية، ووجد أنه يُدخِّن سجائر «جولواز» فشككنا في أنه شبح المتحف ... وذهبنا في اليوم التالي لزيارته في المستشفى فوجدنا أنه غادر المستشفى قبل إتمام علاجه، وهو شيء يدعو إلى التساؤل، خاصةً وأنه خرج دون أن يُخبر أحدًا ... أي أنه هرب ... فذهبنا لزيارة حارس المتحف، حيث علمنا أن هذا الرسَّام الشبح واسمه — كما قال الرسَّام «مأمون» — «رزق»، كان يتردَّد على المتحف خلال الشهرَين الأخيرَين؛ لأنه يقوم بنقل صورة طبق الأصل من بعض اللوحات الشهيرة لحساب هيئة في باريس ... فهو يعيش هناك منذ فترة طويلة.

المفتش: وما هو اللغز إذا لم يثبت أن شيئًا سُرق من المتحف، وحتى بفرض أن «رزق» هذا هو شبح المتحف أو الحديقة كما تسمونه كان هناك، وأنه ترك المستشفى دون إذن ... إن هذا لا يُشكِّل لغزًا إلَّا إذا أردنا أن نعرف لماذا هرب «رزق» من المستشفى ... فهل إجابة هذا السؤال تحل اللغز؟

تختخ: نعم. لماذا هرب «رزق» من المستشفى؟

المفتش: لعل عنده أسبابًا خاصةً لهذا الخروج المفاجئ؛ بأن يكون مرتبطًا بموعد للسفر أو أي شيء من هذا القبيل.

تختخ: على العكس ... إن «رزق» هرب من المستشفى لأنه لص!

المفتش: لص؟!

تختخ: نعم ... لأنه لص!

التفت الأصدقاء الأربعة والمفتش إلى «تختخ» بعد هذا الاتهام الصارخ الذي وجَّهه إلى «رزق»، وقال المفتش: وما هو دليلك على أنه لص؟

تختخ: ليس عندي دليل حتى الآن ... ولكن مجرَّد فكرة.

المفتش: من الصعب جدًّا أن نتهم الناس بالسرقة لمجرد فكرة، ولكن على كل حال ما هي فكرتك؟

تختخ: سأشرح فكرتي بشكل مطوَّل نوعًا ما؛ حتى يمكنكم متابعتي ... إنني أتصوَّر أن «رزق» جاء من فرنسا وفي ذهنه سرقة بعض اللوحات الفرنسية المشهورة الثمينة الموجودة بمتحف «محمد محمود خليل»؛ فهو يعرف قيمة هذه اللوحات، ويمكن أن يبيعها بثمن كبير ... وهكذا حضر إلى القاهرة، وفي ذهنه خطة شيطانية ... أن يقوم بتقليد هذه اللوحات أولًا.

سكت «تختخ»، والمفتش والأصدقاء يُتابعون باهتمام، ثم مضى يُكمل شرح فكرته: وذهب إلى المتحف ومعه أدوات الرسم، وأخذ يرسم اللوحات بنفس مقاييسها، وحجمها ... وهذا عمل ليس محرَّمًا؛ فهناك عدد كبير من الفنَّانين يقومون بتقليد اللوحات المشهورة ... وعندما أتمَّ «رزق» رسم اللوحات انتهى بهذا الجزء الأول من خطته ... أمَّا الجزء الثاني فهو وضع اللوحات المزيَّفة مكان اللوحات الأصلية.

وعاد «تختخ» إلى الصمت وقد بدأ حديثه مشوِّقًا جدًّا للأصدقاء والمفتش.

المفتش: حتى الآن هذا كلام معقول ... فكيف نفَّذ الجزء الثاني من الخطة؟

تختخ: الجزء الثاني من الخطة نفَّذه منذ خمسة أيام ... لقد دخل إلى المتحف ومعه اللوحات المزوَّرة ... وظلَّ بالمتحف حتى موعد إغلاق الأبواب، فاختفى في مكان ما داخل المتحف ... وربما في دورة المياه مثلًا ... وهو على كل حال درس المكان الذي سيختفي فيه خلال الشهرَين اللذين قضاهما متردِّدًا على المتحف ... اختفى إذن حتى أغلق المتحف أبوابه ... وانتظر حلول الظلام؛ فهو يعرف أن حارس المتحف يُغادر مكانه بعد ذلك ويذهب للجلوس مع حارس باب الحديقة ... وعندما اطمأنَّ إلى ذلك خرج من مكمنه، وقام بإبدال اللوحات، ووضع المزيَّفة في الإطارات، وأخذ اللوحات الأصلية، ثم فتح إحدى النوافذ، وقفز منها، وأعاد إغلاقها من الخارج بقدر ما يستطيع؛ حتى لا يشك أحد ... فقد كان يُريد أن يُبعد أي شبهة سرقة حتى لا يتحرَّك رجال الشرطة، ولكن لسوء الحظ عندما وصل إلى سور الحديقة الخلفي، عاد الحارس ليُحضر شيئًا وشاهده من بعيد، فأطلق النار عليه وأصابه ... ولكن الحارس لم يكن متأكِّدًا من إصابته، ومن ناحية أخرى فقد فضَّل أن يُسرع إلى المتحف ليرى ما حدث فيه ... وعندما وجد الأبواب والنوافذ كلها مغلقة، اطمأنَّ حين عرف أن شيئًا لم يحدث، وأحضر الشيء الذي كان يبحث عنه، ثم عاد للجلوس مع حارس الباب.

نوسة: ولكن الحديقة مضاءة، وكان يمكن للحارس أن يراه بعد إصابته.

تختخ: نسيت أن أقول لكم إن «رزق» أطفأ أنوار الحديقة قبل خروجه، ولمَّا كان من الممكن أن تنطفئ الأنوار أحيانًا، ثم تُضاء مرةً أخرى؛ فإن الحارس لم يشك في شيء … واستطاع «رزق» أن يتسلَّل في الظلام، فلمَّا أُصيب أسرع إلى الاختفاء خلف شجرة ضخمة في الحديقة، ولكن إصابته منعته من مواصلة السير، فبقي في مكانه فترةً طويلةً يُفكِّر فيما يفعل … وقد وجدنا آثاره هناك … أعقاب السجائر، ودبابيس الرسم، ولعله خشي أن يخرج إلى الشارع فيراه أحد … وهكذا بقي حتى قرب الفجر حيث استطاع أن يقفز السور، ثم يختفي.

المفتش: ولكن لجنة الجرد … ألم تعرف اللوحات المزيفة؟

تختخ: إن لجنة الجرد لم تُفكِّر مطلقًا في فحص اللوحات … لقد أتمَّت مهمَّتها بمراجعة اللوحات والتماثيل الموجودة على ما عندها من أرقام، فوجدت العدد سليمًا لم ينقص، فلم تُفكِّر في فحص اللوحات نفسها.

المفتش: إن هذه فكرة شيطانية حقًّا … المهم أن نُثبتها، ولا بد من إحضار رسَّام متمكِّن حتى يكتشف اللوحات المزيفة.

تختخ: إن صديقنا الرسَّام «مأمون» يمكن أن يقوم بهذه المهمة.

المفتش: علينا إذن أن نتصل به فورًا.

وأحضر «تختخ» التليفون وتحدَّث إلى «مأمون»، واتفقا على أن يلتقيا في اليوم التالي في المتحف.

ما هي الحقيقة؟

التقى الجميع مع الرسَّام «مأمون» في صباح اليوم التالي أمام المتحف، وكان المفتش شديد الاهتمام بما قاله «تختخ» أمس، خاصةً والأفكار التي قدَّمها معقولة ومنطقية ولا ينقصها إلَّا إثبات غياب اللوحات الأصلية من المتحف، وهذه كانت مهمة الفنَّان «مأمون».

وقبل أن يدخلوا شرح «تختخ» بسرعة استنتاجاته للرسَّام «مأمون» الذي أبدي دهشته الشديدة لما سمع، وإن أبدى استعداده في نفس الوقت لفحص اللوحات.

دخل الجميع وقلوبهم ترتجف في انتظار أقوال «مأمون»، الذي سأل «تختخ»: هل تعرف اللوحات التي سرقها؟

تختخ: بالطبع لا أعرف، ولكني أتصوَّر أنهم أهم اللوحات التي بالمتحف.

مأمون: إنني أعرف اللوحات الهامة … فلنبدأ بلوحات «دومييه» … إن له هنا لوحة «دون كيشوت»، و«امرأة نائمة تحت الشجرة». واتجهوا إلى اللوحَتين، ووقف «مأمون» أمامهما متأمِّلًا، والجميع يُعلِّقون أبصارهم على وجهه. وقال «مأمون» وهو يمسك بقماش لوحة «امرأة نائمة»، ثم قلب البرواز وقال: هذه اللوحة أصلية وليست مزيفة! … ووقع قلب «تختخ» في قدمَيه ولكنه تماسك قائلًا: واللوحة الثانية؟

وأخذ «مأمون» يُحسها بأصابعه، ثم أدار القماش وصاح في دهشة: هذه اللوحة مقلَّدة!

المفتش: هل أنت متأكِّد؟

مأمون: طبعًا؛ فهذا النوع من القماش لم يكن مستعملًا أيام «دومييه»، أي نحو ١٠٠ سنة. صحيح أن التقليد متقن، ولكن نوع الزيت والألوان والقماش كلها جديدة.

أخرج المفتش من جيبه دفتر مذكراته وكتب اسم اللوحة ومقاساتها، وكانت ٣٢ × ٢١ سنتيمترًا.

وانتقل «مأمون» إلى الفنَّان «ديجا»، وله لوحة «الزينة» ولوحة «رأس سيدة شابة» ... ومرةً أخرى اكتشف أن الثانية مقلَّدة وليست أصلية، وهنا أسرع المفتش إلى التليفون واتصل بوزارة الداخلية ... ثم اتصل بوزارة الثقافة والإرشاد، الذين شكَّلوا لجنةً لفحص جميع اللوحات.

قال المفتش يسأل مدير المتاحف: متى تنتهي اللجنة من عملها؟

المدير: ليس قبل المساء ... فهناك عمل كثير ... وفحص ١٣٣ لوحةً عمل شاق، بالإضافة إلى ٨٥ لوحةً صغيرة.

انتحى المفتش بالمغامرين الخمسة جانبًا وقال: لقد صحَّت نظريتك يا «تختخ». إنها خطة شيطانية، ونحن لا نعرف عدد اللوحات التي سرقها «رزق»، ولكن من المؤكَّد أنها تُساوي مئات الألوف من الجنيهات ... ولا بد من العثور على «رزق» هذا قبل أن يُغادر البلاد بهذه الثروة.

محب: لا بد أن الفنَّان «مأمون» يعرف عنه بعض المعلومات التي قد تُفيدنا في البحث!

وجاء الفنَّان «مأمون» وقال: لقد كان «رزق» زميلي في كلية الفنون، ولكنه ترك الدراسة قبل أن يُتمَّها وسافر إلى فرنسا ... وانقطعت أخباره عني، وعندما عاد منذ نحو شهرَين اتصل بي تليفونيًّا، وكنا نلتقي ليلًا عند بعض الأصدقاء.

المفتش: ألا تعرف أين يسكن؟

مأمون: إنه يسكن عند شقيقه في «الدقي»، ولكني لا أعرف العنوان بالضبط.

المفتش: وما هو اسم شقيقه وعمله؟

مأمون: إنه موظَّف في وزارة الزراعة ومقرها في «الدقي» أيضًا، اسمه «مختار».

المفتش: من السهل العثور على العنوان ... ولكن من المؤكَّد أننا لن نجده هناك ... فلا بد أنه هرب.

وأسرع المفتش بالاتصال بوزارة الزراعة، حيث عرف عنوان «مختار»، وأرسل المفتش أحد مساعديه إلى العنوان، وعندما عاد قال إنه لم يعثر على أحد؛ فقد قالوا له إن «رزق» ... لم يعد إلى المنزل منذ خمسة أيام.

قال المفتش للأصدقاء: لم يعد هناك شيء يمكن أن تؤدُّوه الآن، فعودوا إلى المعادي، وسوف أتصل بكم إذا جدَّ جديد، وسيقوم رجالي بالبحث عن «رزق» هذا، ولا بد أن نعثر عليه ولو اختفى تحت الأرض!

وغادر الأصدقاء المتحف، وعادوا إلى المعادي، وكان وقت الغداء قد حان، فاتفقوا على أن يلتقوا مساءً في حديقة منزل «عاطف» كالمعتاد.

وعندما التقَوا في المساء قال «تختخ»: لقد تأكَّد أن «رزق» استطاع تقليد خمس لوحات شهيرة ثمنها مليون جنيه؛ الأولى من رسم «دومييه» وهي «دون كيشوت»، والثانية من رسم «ديجا» وهي «رأس سيدة شابة»، والثالثة للفنَّان «ديلاكروا» واسمها «رئيس قبيلة عربي»، والرابعة لـ «جوجان» واسمها «السقوف الحمراء»، والخامسة للفنَّان «فان جوخ» واسمها «زهور الخشخاش» …

محب: خمس لوحات!

تختخ: نعم خمس لوحات من أشهر اللوحات لكبار الفنَّانين، ولو استطاع أن يصل بها إلى أوروبا لباعها بمبلغ ضخم.

نوسة: وهل يتمكَّن رجال الشرطة من القبض عليه؟

تختخ: ذلك شيء لا أعرفه، إن في الإمكان أن يُهرِّبها ببساطة في حقيبة، ولن يلتفت أحد إليها.

عاطف: ولكن لا بد أن رجال الشرطة سيُقيمون حصارًا حديديًّا في الموانئ والمطارات حتى لا يهرب.

لوزة: على كل حال ليس المهم هو القبض عليه، ولكن المهم هو العثور على اللوحات … ولعلنا نستطيع أن نعثر عليها!

تختخ: هذه وجهة نظر ممتازة ولكن كيف؟

لوزة: إنه علينا أن نتبع خطواته منذ خرج من المتحف جريحًا حتى وصل إلى المستشفى؛ فلا بد أنه أخفاها في مكان ما قبل أن يصل إلى المستشفى؛ فقد كان من الخطر عليه أن يأخذها إلى هناك.

نوسة: ولكن لا بد أنه بعد أن هرب من المستشفى أسرع إلى المكان الذي أخفاها فيه وأخذها.

تختخ: هذا ممكن … ما علينا عمله الآن هو تتبُّع خطواته منذ خروجه من المتحف حتى وصوله إلى المستشفى؛ فنحن لا نستطيع أن نُطارده في القاهرة الواسعة، ولكن من الممكن أن نتتبَّع خطواته.

محب: من المهم يا «تختخ» أن نعرف متى وصل إلى المستشفى، ونُحدِّد الوقت الذي قضاه بين خروجه من المتحف ووصوله إلى المستشفى.

تختخ: غدًا صباحًا يمكننا أن نذهب ونسأل.

محب: ولماذا نُضيِّع كل هذا الوقت؟ إن في إمكاننا أن نتصل بالمفتش «سامي» ونحصل منه على المعلومات اللازمة.

تختخ: هل يمكن أن نتحدَّث من تليفونكم يا «عاطف»؟

عاطف: طبعًا، وسلك التليفون طويل، ويمكن إحضاره إلى هنا.

وأحضر «عاطف» التليفون واتصل بالمفتش «سامي» وروى له ما فكَّر فيه، فقال المفتش: من السهل طبعًا أن أحصل لكم على موعد دخوله إلى المستشفى، وهناك شيء آخر ... إن المستشفى لا بد قد أبلغ قسم الشرطة التابع له بإصابة «رزق»، ومن المؤكَّد أن هناك محضرًا بهذا الموضوع.

تختخ: ولكن لماذا يتصل المستشفى بالقسم؟

المفتش: إن وجود إصابة شديدة، خاصةً إذا كانت ناتجةً من إطلاق الرصاص، لا بد على أي طبيب أن يُبلِّغ عنها، وسنرى ماذا قال «رزق» عن إصابته.

تختخ: إننا في الانتظار عند «عاطف» ... ونرجو أن تتصل بنا في رقم ٣٤٥٥٥ وشكرًا.

وأغلق «تختخ» التليفون، وجلس الأصدقاء يتناقشون، قال «عاطف»: أعتقد أن «رزق» لن يُجازف بالسير والتحرُّك وهو يحمل اللوحات، فمن المؤكَّد أنه أخفاها في مكان ما ... وعلينا أن نجد هذا المكان بسرعة.

بعد نصف ساعة تقريبًا دقَّ جرس التليفون، وكان المتحدِّث هو المفتش الذي قال لـ «تختخ»: لقد ادَّعى «رزق» أنه أُصيب وهو سائر في الطريق، ولا يعرف من الذي أطلق عليه الرصاص ... وموعد وصوله إلى المستشفى هو الثامنة والنصف صباح السبت الماضي، كما قال في التحقيق، كما أنه لم يكن معه شيء عندما دخل المستشفى.

تختخ: معنى هذا أنه خرج من حديقة المتحف إلى مكان ما، حيث أخفى اللوحات، ثم ذهب إلى المستشفى!

المفتش: هذا ممكن طبعًا، وسنقوم في نفس الوقت بتفتيش منازل كل من يعرفهم لعله ذهب إلى أحدهم.

تختخ: إنني أُرجِّح أنه خرج من المتحف إلى المستشفى؛ فقد ظل نائمًا في حديقة المتحف خوفًا من الخروج إلى الشارع الفارغ؛ لأن منظره وهو مصاب في مثل هذه الساعة سوف يلفت إليه أنظار رجال الشرطة في هذا المكان الهام من القاهرة، فظل في هذا المكان حتى موعد خروج الناس إلى العمل، وخرج من مكمنه.

المفتش: هذه هي المعلومات، وعليكم أن تُحاولوا الاستفادة منها.

وأغلق «تختخ» السمَّاعة بعد أن شكر المفتش، وجلس صامتًا لحظات، ثم قال: المهمة القادمة ليست لنا.

نوسة: ليست لنا! لمن إذن؟

تختخ: لـ «زنجر» ... ونحن معه.

لوزة: زنجر؟!

تختخ: نعم «زنجر» ... أليس منديل «رزق» معنا؟

لوزة: نعم ... إنه معي.

تختخ: إذن على «زنجر» أن يشمَّه ويجري ... علينا أن نتبعه ونجري أيضًا.

لوزة: الآن؟!

تختخ: لا ... غدًا صباحًا.

وهكذا اتفق الأصدقاء على اللقاء في اليوم التالي.

مغامرة في الطريق

التقى الأصدقاء عند محطة السكة الحديد، ثم انطلقوا إلى القاهرة، وذهبوا إلى المتحف … وقال «تختخ»: إننا لن ندخل المتحف طبعًا؛ فلم يعد فيه شيء يُهمُّنا. إن ما يُهمُّنا الآن هو الحديقة، حيث وُجدت آثار «رزق».

نوسة: ولكن هذه الآثار أصبحت قديمة … ولا أظن أن «زنجر» سوف يتمكَّن من متابعتها.

تختخ: أعتقد أنه سيتمكَّن … على كل حال دعونا نُجرِّب.

وهكذا دخل الأصدقاء الحديقة، واتجهوا إلى الركن الذي وجدوا فيه المنديل، وهناك أخرجه «تختخ» من جيبه وقرَّبه من أنف «زنجر»، الذي أخذ نفسًا عميقًا، ثم أخذ يدور حول نفسه لحظات … واتجه إلى حيث كانت آثار «رزق» على شُجيرات الورد، وشمَّ الهواء حوله، وأخذ يشم السور ويُحاول القفز عليه.

قالت «لوزة»: من الواضح أن «رزق» تسلَّق السور إلى الشارع من هذا المكان، فهيا نخرج من الحديقة إلى هناك.

وأسرع الأصدقاء خارجين من حديقة المتحف، وذهبوا إلى الاتجاه الآخر للسور، و«زنجر» أمامهم حيث وقف قليلًا يشم الأرض، وأخذ يسير مسرعًا والأصدقاء خلفه، حيث خرج من الشارع الجانبي إلى شارع الجيزة — خلف فندق «شيراتون» — ثم وقف حائرًا يدور حول نفسه فترةً طويلة.

فقال «تختخ»: لقد فقد «زنجر» آثار الرائحة … فقد مضت مدة طويلة … وهذا الشارع مزدحم تمر به آلاف السيارات يوميًّا … وما دام «زنجر» قد فقد الأثر؛ فقد أصبح علينا أن نجد الآثار نحن … فتخيَّلوا أنفسكم في مكان «رزق» … فماذا يمكن أن يفعل بعد ذلك؟

لوزة: يأخذ تاكسيًا إلى المستشفى.

تختخ: في هذه الحالة يصل إلى المستشفى ومعه اللوحات ... وهو لا يمكن أن يذهب إلى المستشفى بها ... فقد يشك فيه أحد، أو يكتشف رجال الشرطة الحقيقة بسرعة، والدليل على هذا أنه لم يكن يحمل شيئًا عندما دخل المستشفى.

نوسة: من الممكن أن يمشي إلى حيث يخفي اللوحات، ثم يذهب إلى المستشفى!

تختخ: لا تنسَ أنه جريح ... صحيح أن مستشفى «العجوزة» على بعد محطتَي أوتوبيس، ولكنه مشوار طويل على شخص مصاب.

محب: يركب التاكسي ويذهب إلى المكان الذي سيُخفي فيه حاجياته ثم يتجه إلى المستشفى.

تختخ: هذا هو أقرب إلى الصواب.

عاطف: في هذه الحالة علينا أن نعثر على التاكسي الذي ركبه.

تختخ: بواسطة المفتش «سامي» طبعًا.

عاطف: طبعًا.

تختخ: هذا ممكن ... ولكن من الصعب العثور على التاكسي بعد مرور هذه المدة الطويلة ... ومع هذا فلْنؤجل هذه الخطة حتى نبحث باقي الاحتمالات.

عاطف: أليس من الممكن أن يكون له شريك انتظره بسيارة؟

تختخ: ممكن طبعًا، ولكن في هذه الحالة لم يكن ينتظره هذه المدة الطويلة في الحديقة، فلا بد أن يكون بينهما موعد مناسب ... في منتصف الليل مثلًا، وفي هذه الحالة كان يذهب إلى المستشفى بعد ذلك ببضع دقائق.

محب: ولو كان له شريك لذهب إليه واستدعى طبيبًا لعلاجه في المنزل.

تختخ: إن استخراج رصاصة أو أكثر من جسم الإنسان يحتاج إلى غرفة عمليات لا تتوافر إلَّا في المستشفى.

لوزة: في هذه الحالة ليس أمامنا إلَّا الفكرة التي قالها «محب»، وهي أنه أخذ تاكسيًا وذهب إلى مكان أخفى فيه اللوحات، ثم انطلق إلى المستشفى.

تختخ: إن مهمتنا هي أن نجد هذا المكان.

عاطف: وهي مهمة صعبة جدًّا.

تختخ: تعالَوا نجلس على كورنيش النيل ونُعاود التفكير في موقف «رزق»؛ فقد نصل إلى استنتاجات أخرى أكثر تحديدًا وتهدينا إلى مكان اللوحات أو مكانه.

واتجه الأصدقاء إلى الكورنيش بجوار كوبري الجلاء وجلسوا يتحدَّثون، و«زنجر» يجري هنا وهناك.

قال «تختخ»: نحن متفقون على أن «رزق» أُصيب في نحو الثانية صباحًا، فلماذا انتظر حتى الصباح في حديقة المتحف، بدليل أنه ترك عددًا كبيرًا من أعقاب السجائر مكانه؟!

نوسة: لقد قلت إنه خاف الخروج ليلًا حتى لا يشك فيه أحد.

لوزة: ولماذا لا يكون في انتظار شيء معيَّن؟

تختخ: مثل ماذا؟

لوزة: هناك أشياء لا يمكن عملها ليلًا ... ولا بد من طلوع النهار لعملها مثل شراء شيء.

تختخ: مرةً أخرى ... مثل ماذا؟

لوزة: يشتري حقيبةً ليخفي فيها اللوحات.

تختخ: ولكن لابد أنه كان معه حقيبة وضع فيها اللوحات المزوَّرة.

محب: من غير المعقول أن يدخل المتحف ومعه حقيبة بهذا الحجم فيلفت إليه الأنظار!

تختخ: إذن كيف حمل اللوحات المزيفة إلى المتحف؟ وكيف دخل بها؟

سكت الأصدقاء جميعًا، ثم قالت «نوسة» فجأة: لعله كان يُخفيها في المتحف في انتظار الوقت المناسب!

عاطف: أو لعله كان يضعها أمانةً عند الحارس مقابل بعض المال.

تختخ: هذا ممكن ... دعونا نذهب ونسأل الحارس!

وقام الأصدقاء للذهاب إلى المتحف لمقابلة الحارس ... ولكن «زنجر» في هذه اللحظة انطلق يجري بين الحشائش النامية على الشاطئ ... وانطلق الأصدقاء يجرون خلفه ... وظل «زنجر» يجري وهو يدس أنفه في الحشائش الطويلة هنا وهناك، وقالت «نوسة» وهي تلهث: لعل «زنجر» قد عثر على الأثر مرةً أخرى!

لوزة: أو عثر على اللوحات!

عاطف: أو على «رزق»!

وظل «زنجر» يجري والأصدقاء خلفه حتى تعبوا تمامًا ... وتركوه يجري وحده حتى توقَّف على مسافة بعيدة وأخذ يقفز ويضرب شيئًا على الأرض بمخالبه، فصاحت «لوزة»: لقد عثر على اللوحات!

ومرةً أخرى انطلق الأصدقاء جريًا حتى وصلوا إلى مكان «زنجر»، الذي وقف ينبح بانتصار ... واتجهت أنظار الأصدقاء جميعًا تحت قدمَيه في انتظار المفاجأة ... وكانت

مفاجأةً فعلًا ولكن من نوع آخر ... فقد كان «زنجر» يُطارد فأرًا ... واستطاع في النهاية اصطياده!

وقف الأصدقاء يلهثون وهم يتبادلون النظرات ... ثم ابتسمت «لوزة» وبعدها ... «عاطف» و«محب» و«تختخ»، واشترك الجميع في الضحك ... و«زنجر» ينظر إليهم في دهشة؛ فقد كان متضايقًا لأن انتصاره أضحكهم، وكان المفروض أن يكون موضع إعجابهم.

عاد الأصدقاء بأقدام متثاقلة إلى شارع الكورنيش ... ثم اتجهوا إلى المتحف.

تختخ: انتظروا هنا لترتاحوا قليلًا، وسوف أعرف الحقيقة من الحارس وأعود إليكم.

اتجه «تختخ» إلى الحارس، ولم يكد الرجل يراه حتى وقف احترامًا له؛ فقد شاهده مع المفتش «سامي» وعرف أنه صاحب فكرة اللوحات المزيفة ... قال «تختخ» بعد أن حيَّاه: هل أستطيع أن أسألك بعض الأسئلة؟

الحارس: طبعًا.

تختخ: هل كان «رزق» يحمل حقيبةً كبيرةً عند حضوره آخر مرة إلى المتحف؟

الحارس: لا طبعًا ... إن دخول الحقائب ممنوع ... ما عدا حقيبة الألوان، وذلك ممكن!

تختخ: إذن ماذا يفعل باللوحات المزيفة؟ ... هل كان يحملها معه يوميًّا؟

قال الحارس بخجل: آسف جدًّا فقد كان يضعها عندي ... وقد كنت أُساعده كفنَّان ناشئ ... ولم أكن أشك مطلقًا في أنه يُدبِّر هذه الخطة الشيطانية لسرقة اللوحات، وقد أخذها يوم الحادث.

شكر «تختخ» الحارس، وأسرع إلى الأصدقاء قائلًا: لقد عرفتُ كل ما نُريد معرفته من الحارس ... وقد أصبح واضحًا لنا أن بقاء «رزق» في حديقة المتحف طول الليل كان المقصود به انتظار طلوع النهار لشراء شيء يُخفي فيه اللوحات.

محب: فلْنتخيَّل ماذا حدث بعد ذلك ...

عاطف: ذهب لشراء الحقيبة، ثم وضع بها اللوحات، وذهب بها إلى مكان أمين، ثم اتجه إلى المستشفى.

نوسة: المهم هو المكان.

تختخ: إذا كان قد وضعها عند أحد أقاربه؛ فإن رجال الشرطة سوف يصلون إليه؛ فهم يبحثون الآن!

عاطف: إنني أتصوَّر أن مثل هذه الثروة لا يمكن أن يأتمن «رزق» عليها أي إنسان ... وواضح أنه ذهب باللوحات إلى مكان آخر.

تختخ: أين؟

عاطف: مثلًا في أمانات أحد الفنادق.

تختخ: لا بد في هذه الحالة أن يكون من نزلاء الفندق.

عاطف: أليس هناك أماكن أخرى يمكن أن يضع فيها الشخص شيئًا مثل حقيبة أمانة؟

تختخ: في أمانة السكة الحديد.

عاطف: ألا يُشترط أن يكون مسافرًا؟

تختخ: لا أبدًا.

عاطف: من الجائز إذن أن «رزق» وضع الحقيبة بما فيها في أمانات السكة الحديد.

تختخ: هذا ممكن، خاصةً أن منطقة بيع الحقائب قريبة من ميدان باب الحديد … سواء أكانت شارع «عدلي» أم شارع «كلوت بك» أم شارع «نجيب الريحاني»، حيث يكثر باعة الحقائب.

عاطف: هيا بنا إذن إلى محطة باب الحديد.

تختخ: لنتصل بالمفتش «سامي» أولًا؛ فقد يكون رجاله قد عثروا على الحقيبة عند أحد أقارب «رزق»!

وتحدَّث «تختخ» مع المفتش من أقرب تليفون، وقال المفتش إنهم فتَّشوا مساكن عدد كبير من أقارب «رزق»، دون أن يعثروا على شيء، فقال «تختخ»: لقد توصَّلنا إلى استنتاج أن «رزق» قد وضع الحقيبة في محطة السكة الحديد، وسنذهب إلى هناك للاستعلام.

المفتش: لن تحصلوا على إجابة من الموظَّف المختص … ومن الأفضل أن تنتظروني هناك، وسأحضر لكم مع بعض رجالي.

حقيبة بمليون جنيه

وصل المفتش «سامي» أمام محطة السكة الحديد، فوجد الأصدقاء في انتظاره ومعهم «زنجر» ... وبعد أن حيَّاهم وزَّع رجاله على مختلِف أنحاء المحطة؛ فقد يصل «رزق» في هذا الوقت فيمكنهم القبض عليه.

ثم اتجه مع الأصدقاء إلى مخزن الأمانات ... كان هناك زحام على المخزن ... حيث صُفَّت مئات من الحقائب من مختلِف الأنواع والأشكال والأحجام ... وعندما جاء دور المفتش للحديث، قدَّم نفسه للموظف، ثم قال: إننا نبحث عن حقيبة لا نعرف لها لونًا ولا حجمًا، ولكن نُرجِّح أنها أودعت في نحو الساعة الثامنة صباح يوم السبت الماضي، أودعها شاب نحيل الجسم، له لحية سوداء، وكان واضحًا أنه يسير بصعوبة؛ فقد كان مصابًا في ساقيه، فهل تذكر شخصًا له هذه الصفات؟

قال الرجل وهو يتذكَّر: نعم ... إنني أذكر جيدًا شخصًا له هذه الصفات ... نعم إنني أذكره جيدًا. يسير بصعوبة في الصباح الباكر وهو يتقدَّم مني ... ولَمَّا سألته عمَّا حدث، قال إنه أصيب في حادث، وطلب إيداع حقيبته حتى يسرع إلى الإسعاف ... وقد أخذت منه الحقيبة وأعطيته إيصالًا بتسلُّمها.

المفتش: وهل عاد لأخذ الحقيبة؟

الرجل: لا أدري؛ فمن الصعب التذكُّر، خاصةً ولي زميل آخر قد يكون قد سلَّمها ... ولكنني لا أذكر أنني رأيت الشخص مرةً أخرى.

محب: هل يمكن تفتيش الحقائب التي هنا؟

الرجل: لا بد من الحصول على إذن بذلك من النيابة؛ فمن الممنوع فتح حقيبة مسافر وهي في الأمانات.

المفتش: من الممكن الحصول على هذا الإذن بسرعة.

تختخ: إنني أقترح مراجعة إيصالات يوم السبت ... إذا كانت لها أرقام مسلسلة ... ونرى إذا كانت الإيصالات التي أُعطيت في هذا اليوم للمسافرين قد أعيدت إلى المخزن أو لا ... بمعنًى آخر ... هل تسلَّم كل المودعين يوم السبت حقائبهم أولًا؟

الرجل: هذا ممكن.

وذهب الرجل إلى مكتبه، وعاد بالإيصالات، وأخذ يفرزها، ثم قال فجأة: لقد تسلَّم كل أصحاب الحقائب التي أودعت يوم السبت حقائبهم يومَي السبت والأحد ... وهناك شخص واحد تسلَّم حقيبته اليوم ... منذ دقائق قليلة، ولكن لم تكن له لحية.

تختخ: لقد كان «رزق» في المستشفى يومَي السبت والأحد؛ فلا بد أنه هو الذي تسلَّم الحقيبة الآن بعد أن أزال لحيته!

المفتش: معنى هذا أنه غادر المحطة قبل أن نصل.

تختخ: وقد يكون في أحد القطارات التي ستُغادر المحطة الآن ... إذا لم تكن هناك قطارات غادرت المحطة منذ دقائق وركب في أحدها.

المفتش: تعالَوا نسأل.

وأسرع الأصدقاء والمفتش إلى غرفة ناظر المحطة، الذي قال إنه لم تُغادر أي قطارات المحطة خلال الربع الساعة الماضية ... ولكن هناك قطارًا سيُغادر المحطة فورًا.

تذكَّر «تختخ» مرةً أخرى «زنجر» الذي كان يقف خلفه، فأخرج المنديل وقرَّبه من أنفه ... ولم يكد «زنجر» يشم المنديل، حتى أخذ يتشمَّم الهواء حوله، والأصدقاء والمفتش ينظرون إليه في رجاء ... ثم انطلق «زنجر» جاريًا وخلفه الجميع ... جرى «زنجر» وتجاوز بوابة الدخول إلى الرصيف رقم «١»، حيث كان يقف القطار المسافر إلى الإسكندرية، وكان يُطلق صفَّارته إيذانًا بالرحيل.

أسرع الأصدقاء والمفتش خلف «زنجر» الذي قفز إلى القطار، واستطاع المفتش و«تختخ» و«محب» اللحاق به، وتحرَّك القطار، فوقف «تختخ» بالباب وطلب من بقية الأصدقاء العودة إلى المعادي، وكان «زنجر» يقف حائرًا في القطار يتشمَّم ما حوله، ثم انطلق يجري ولكن في بطء داخل العربة الأولى.

تجاوز «زنجر» العربة الأولى وخلفه المفتش و«تختخ» و«محب»، ثم تجاوز العربة الثانية بين دهشة الناس الذين أخذوا يتجمَّعون حولهم وقد أثارتهم المطاردة.

في العربة الثالثة اندفع «زنجر» إلى حقيبة موضوعة على أحد الأرفف وأخذ ينبح ... ودون تردُّد مدَّ المفتش يده ... وجذب الحقيبة، وكان «تختخ» و«محب» ينظران حولهما

للبحث عن «رزق»، ولكن لم يكن له أثر … كانت الحقيبة مقفلة، ولكن المفتش لم يتردَّد، فقد أخرج من جيبه مطواة قوية بها عدد من الأسلحة، ثم أخذ يُعالج القفل ببراعة، وسرعان ما استسلم القفل ونزعه المفتش، ثم مدَّ يده يفتح الغطاء … وخفقت قلوب الثلاثة وهم ينظرون للغطاء وهو يرتفع … ولم يكن على وجه الحقيبة إلَّا بعض الملابس … ولكن عندما رفع المفتش الملابس، كانت اللوحات الأولى موضوعةً أسفل الحقيبة، وقد طُويت بعناية … أخرج المفتش اللوحات الأولى ونظر فيها ونظر إلى الأصدقاء، وارتسمت على وجوه الثلاثة ابتسامة ظافرة!

قال «تختخ»: بقي أن نجد «رزق».

المفتش: وأين سيفلت؟ … إن القطار لن يقف إلَّا في «بنها»؛ فأمامنا نحو نصف ساعة نبحث عنه فيها.

وحمل المفتش الحقيبة بين تعليقات الركاب … ثم قال «تختخ» موجِّهًا الحديث إلى «زنجر»: والآن أيها المخبر الممتاز … هل تجد لنا «رزق»؟ هيا … هيا يا «زنجر»، أكمل عملك!

وكأنما فهم «زنجر» حديث «تختخ»، فانطلق مرةً أخرى يجري وخلفه الثلاثة … وعندما وصل إلى دورة المياه وقف وأخذ ينبح! وأدرك الجميع أن «رزق» في الداخل؛ فاستدعَوا كمساري القطار الذي يحمل مفتاحًا إضافيًّا لفتح الأبواب، فمدَّ يده ببساطة وفتح الباب … وفي الداخل كان «رزق» يقف وقد اصفرَّ وجهه وزاغت عيناه … فأمره المفتش في لهجة قاسية أن يخرج.

وخرج … ونظر إلى الحقيبة في يد المفتش … الحقيبة التي تُساوي مليون جنيه!

واصطحب المفتش «رزق» إلى بوفيه القطار، وطلب منه أن يروي له قصته.

قال «رزق» وهو يتصبَّب عرقًا: لقد غادرتُ القاهرة إلى باريس لأستكمل دراستي في الرسم، ولكن للأسف الشديد أغوتني الأضواء والملاهي، فنسيت دراستي وأخذت أرسب عامًا بعد آخر، حتى طُردت من كلية الفنون … وأخذت أبحث عن عمل ولكني لم أكن موفَّقًا … وكنت أحلم بالثراء السريع، وهكذا وقعتُ بين عصابة من لصوص التحف واللوحات. ولَمَّا عرفت العصابة قصتي وبلدي فرضت عليَّ أن أعود إلى القاهرة لسرقة هذه اللوحات التي تُساوي نحو مليون جنيه … ووعدتني العصابة أن تأخذ اللوحات وتتولَّى بيعها مقابل عشرة آلاف جنيه لي شخصيًّا!

وسكت «رزق» قليلًا … ووجهه يعكس مدى يأسه وبؤسه، ثم قال: ورسمت العصابة الخطة … وكانت تقوم على فكرة تزييف اللوحات ووضعها في أماكن اللوحات الأصلية

لتضليل الشرطة ... وقمت بالجزء الأول من الخطة، وزيَّفت اللوحات، ثم أطفأت أنوار حديقة المتحف حتى لا يراني أحد ... ولكن تصادف لسوء الحظ أن رآني حارس المتحف في الحديقة فأطلق النار وأصابني ... وخشيت أن يتبعني فاختفيت خلف الأشجار الضخمة الموجودة بالحديقة، وظِللت في مكاني حتى الصباح؛ فقد كان من الضروري أن أحصل على حقيبة لإخفاء اللوحات فيها ... وفي الصباح ذهبت واشتريت حقيبةً من شارع «كلوت» بك، ثم ذهبت إلى المستشفى.

والتفت المفتش إلى «تختخ» قائلًا: من صاحب فكرة أن «رزق» ظل للصباح في مكانه حتى تفتح المحلَّات أبوابها؟

تختخ: إنها «لوزة»!

قال المفتش موجِّهًا حديثه إلى «رزق»: لقد استطاعت فتاة صغيرة أن توقع بك ... وتهدم خطة العصابة الباريسية.

ووصل القطار إلى «بنها»، حيث نزل المفتش و«تختخ» و«محب» ومعهم «رزق»، واستقلوا تاكسيًا إلى القاهرة.

عندما عاد «تختخ» و«محب» إلى المعادي، كان بقية المغامرين الخمسة في انتظارهما في حديقة «عاطف»، فاستقبلوهما بعاصفة من الأسئلة عمَّا حدث، فروى لهم «تختخ» كل شيء، ثم أخرج قلمًا ثمينًا من جيبه قدَّمه إلى «لوزة» قائلًا: هذا هدية من المفتش «سامي» لك مع تقديره لأصغر وأذكى مغامرة. وأمسكت «لوزة» بالقلم في سعادة وقالت: إنه ليس هديتي وحدي ... إنه هدية للمغامرين الخمسة جميعًا ... ولكلبهم ... الذكي «زنجر»، الذي استطاع مرارًا أن يكتسب المعركة في الوقت المناسب.


هنداوي